رحلة الضياع لسُنّة السلطة في العراق



تاريخ ملتبس عاشته مجموعات حُسبت على العرب السنة في العراق غامرت بدخول العملية السياسية في ظل الاحتلال الأميركي، وهي لا تملك من الإرث السياسي أي تجارب قبل عام 2003، بعضها كان مواليا بالانتماء أو التقليد للبعث ولنظامه، والبعض الآخر وجد في مؤسسة العشيرة المعهد الوحيد الذي يخرجه للتأهل، مثلما خرّجت الحسينيات ومعاهد إيران السياسيين الشبيعة، في وقت كان من الطبيعي أن تكون مكانة الفعالية السياسية للأحزاب العراقية غير الدينية، كالحزب الشيوعي والحزب الديمقراطى الكردستاني والتيار القومى العروبي، ممثلة ببعض الحركات الصغيرة وحزب البعث الذي أقصى وجُرم منتسبوه.

معمار التكون السياسي الجديد لسنة العراق بنته العلاقة الفردية المشبوهة لبعض المعارضين لحكم صدام، مع ممثلى مشروع الاحتلال الأميركي وجهاز المخابرات السي.آي.إي، الذين حضروا إلى لندن، مطبخ تلك العلاقات، لبناء صفقة واجهة المعارضة لتسهيل مشروعهم الاحتلالي. كان الانحدار الخياني لأولئك مثيرا للقرف. فحصل الانقسام في أيام مؤتمر لندن للمعارضة، قبل شهر من الاجتياح العسكري الأميركي، بين السنة المعارضين لصدام، ممن تبوووا قبلها مراكز دبلوماسية ومسؤولي أجهزة استخبارية، وبين من كانوا تائهن في ظلام البحث عن مَن يوّفر لهم فرصة اللحاق بأي مشروع ينهي حكم صدام، حتىٰ وإن كان ثمنه التخلي عن الولاء للوطن.

دفعت علاقات التجسس والعمالة لأولئك الأفراد المعزولين مع المخابرات الأميركية إلى كسب آخرين مقيمين في واشنطن ولندن، خاصة من تنظيم الإَخوان المسلمين الذي سُمي "الحزب

الإسلامي العراقى" عندما انفتح أمامه طريق العمالة مثلما انفتح لبعض قادة حزب الدعوة، حيث سبقهم في ذلك المجلس الإسلامي الأعلى بقيادة محمد باقر الحكيم. عُقدت اجتماعات اللجان التحضيرية

لمؤتمر لندن بإشراف السفير الأميركي زلماي خليل زادة، الذي حرص علىٰ الاستماع إلى المعمم محمد بحر العلوم، وممثلى المجلس الإسلامي الأعلى وحزب الدعوة، وتجاهل الملتحقين بهم من السنة، لكنه التقي بالوطنيين منهم، وحاول إقناعهم بالدخول إلى المؤتمر لكنه فشل، فقد كانت رؤيتهم الاستشرافية واضحة، وموقفهم الوطني سليما، رغم كلفه الشخصية اللاحقة. وكانوا يراهنون علىٰ مقاومة شبعب العراق للاحتلال العسكرى، لكن اللعبة كانت كبيرة في اختراق المقاومة من قبل زعامات سنيّة، مهدّت لدخول القاعدة وداعش في ما بعد، بترتيب إيراني متقن التنفيذ، قاده قاسم



بسنوات قليلة رغم مرارتها على العراقيين انتهى دور أحزاب الإسلام الشيعي في إدارة الحكم في العراق رغم المراوغة لتمديد زمن تلك النهاية الرسمية وعدم اعترافهم بهذه الحقيقة الحتمية

ارتضى الملتحقون من السُنة تجاهلهم وإقصاء بعضهم وعزلهم سياسيا في اجتماع أربيل، قبيل الاجتياح بأيام، بانتظار مكاسب المال والجاه، ثم غطًىٰ الحزب الإسلامي "كوتة السنة" في الحكم الطائفي الجديد مثلما كان مدبّرا. حين وقع الاحتلال، انفتحت كُوّات الدبابير السوداء من حدود العراق

المغانم، غير مكترثين بالدماء التي سالت من أبناء جلدتهم، وبعضهم وظّف ذكاءه الشخصى في الاحتيال والسرقة. لم يمانع البعض الآخر من "المتدينين" السنة في تقمّص شخصيات المعارضين "الصامتين" ونسجوا لأنفسهم بطولات وهمية، لغياب الشاهد الحقيقي المُطارد من سلطة الاحتلال وأعوانها، واهتدى هؤلاء الهامشيون

الشرقية، وكانت عناصر وأدوات

الاحتلال الإيراني منتقاة بمواصفات

الجهل والانتقام الدموي، وتراكض أشباه الرجال من السنة لدخول نادي

إلى ميدان الكذب والدجل، حين وجدوا سُوقه رائجة، وتضامنوا مع أفواج الجهلة أتباع الإسلام الشيعى الإيراني، وقبل هؤلاء صفقة الأتباع لشيعة السلطة

لقد أقيم العهد الجديد على قاعدة إن القيم الوطنية لا تُصرّف في البنوك مثلما خاطبني شخصيا عام 1996 بالنص أحد رجال المخابرات الأميركية، حينما رفضت عرضه بمقايضة العمل التجسسي لصالح الولايات المتحدة مقابل الانضمام إلىٰ مشروعهم في التغيير السياسي بالعراق. قلت له ليس كلّ المعارضين لنظام صدام يرتضون الدخول في نادي العمالة والتجسس. كانت لعبة التبعية السنئة للشبعة

متقنة، لكن المشكلة كانت في كيفية توحيد كلمة شتات الضائعين، فحصل الخصام وكانت جلساتهم الخاصة عبارة عن حوار المقامرين الذين لا رصيد لهم، ولا يهم بعضهم بيع بيته أو أولاده أو شرفه الشخصى من أجل الوصول إلى مغانم السلطة الجديدة، لأنه لا يمتلك رصيدا سياسيا وطنيا يؤهله لأن يكون القطب المعارض في المعادلة السياسية

عام 2005 وبعد الاستفتاء على الدستور الذي استعجله مرجع الشيعة السيستاني لغاية في نفسه، تكشفت بواطنها في ما بعد، رفضت المحافظات السنية الاستفتاء، وبينها الأنبار، التي

كانت نسبة المشاركة فيها 2 في المئة رغم الشغل التسويقي المحموم للحزب الاسلامي. حضرنا جلسات حوار في عمان لبلورة موقف وطنى واضح من الحكم الجديد، طرحنا خلَّاله مشروع جبهة وطنية تضع ثوابت العمل العراقي بعيدا عن المحاصصة الطائفية، التي استعجلتها الزعامات الشيعية تنفيذا لرغبة الحاكم الأميركي (بول بريمر)

كان الطرف السنى المستعجل للمشاركة في السلطة مندفعا إلى درجة غريبة، برروا دخولهم في العملية السياسية إلىٰ درجة قول بعضهم: نقبل الدخول في المستنقع وتلطيخ "دشاديشنا"، المقصود ثيابنا، وابقوا أنتم على ملابسكم نظيفة، فنحن نعتقد ىأن دخولنا سيّغير المعادلة. ثم أصبح في ما بعد هذا الشخص في الموقع الشَّرفي الشكلي، نائبا لرئيس الوزراء، معترفاً بأنه لا يمتلك رأيا أو قرارا

المتورط الأكبر في شراكة شيعة السلطة هو تنظيمات وولاءات الإسلام السياسي السني، التي كانت في حالة من الاندفاع أغمضٌ عيونها، في السنوات اللاحقة، عن حرائم قادة الأحزاب وميليشياتها ضد المواطنين من قتل واختطاف وتهجير. كانوا مبتهجين بتلك المشاركة وليست الشراكة، إلى درجة قبول تعليمات قاسم سليماني لقاء أن يتحول أحدهم من مطلوب، وفق المادة أربعة، بتهمة الإرهاب إلى رئيس برلمان

كان مؤشّر انحدار شبيعة السلطة مدويا بسبب التخريب المبرمج للإنسان العراقى بلعبة التمايز الطائفي والترويج لنظرية "الشيعة بحكمون العراق إلى الأبد". ويستوات قليلة، رغم مرارتها علىٰ العراقيين، انتهىٰ دور أحزاب الإسلام الشيعي في إدارة الحكم في العراق، رغم المراوغة لتمديد زمن تلك النهاية الرسمية، وعدم اعترافهم بهذه الحقيقة الحتمية، وقد تكون ولاية

يعي العراقيون، تماما، أن هذه

التحالفات، التي تجري تحت لافتات

مصطفئ الكاظمي آخر فصول هذا الحكم، لأن تضحيّات الشعوب لا تذهب في مهب الريح، كثنفت ذلك ثورة عصر حزمة واحدة مع شيعة السلّطة. العراق الجديد، ثورة أكتوبر الشبابية، ولم يبق من شوط تلك النهاية الحتمية

الشيخ وضاح الصديد

ماجستير علوم سياسية

سوى القليل. هذه الحقيقة المرّة تتلمس ملامحها الزعامات السنية، التي هرم بعض شنخوصنها وأثقلت كواهلهم خزائن المال المسروق، التي ستظل إحدى علامات الفضيحة لسنّة السلطة، حتى وإن كانوا علىٰ هوامشها، ومحاولتهم التبرئة من ثقل تبعاتها عليهم، محاولين الإيحاء بأن ما يحصل بما يسمىٰ "حرب شيعية شيعية" لا يمسّهم وهم بعيدون عنها وبراء من تبعاتها لأنهم، وفق إدعاءاتهم، خارج "السلطة الشيعية"، ضاربين على وتر "أن الناس تنسى بمرور الأيام"، ولأنهم لا يشعرون بمعاناة الثكالي، وفقدان مئات الألوف لمنازلهم في عمليات التهجير والتغيير الديموغرافي للمدن ذات الأغلبية السكانية السنيّة. الضائعون منذ بداية عهد الاحتلال

وتسيد شيعة السلطة يدّعون الآن بأنهم

يمثلون السنة المهمشين، ويفتشون في

مع قوائم الأحزاب الطائفية أمثال هادي

العامري، وعمار الحكيم، لتشكيل الكتلة

واليوم وبعد انطلاقة ثورة تشرين

والمطالبة بسقوطهم وجدوا أنفسهم

بحاجة إلىٰ الدخول في اللعبة نفسها،

لكنهم تناسوا أن من بين أهم شروط

الثوار لإجراء الانتخابات منع هؤلاء

من شارك في العملية السياسية منذ

هذا، أيضا، ليس مطلب الثوار

المحتجين، وطالب الشعب العراقي بعدم

وحدهم، بل إن المرجع الشبيعي كمال

السماح لأي جهة فاسدة شاركت في

الاحتلال وإلىٰ حد اليوم.

دري، اعلن وقوفه

جميعا من المشاركة فيها، بل ورفض كل

کن شر

خزائن فقهائهم عن ديباجات لبيانات انتخابية مُبكرة ذات نيرات معارضة لكسب الجمهور السني الذي لفظهم في

شياب العرب السنة، أيناء أكثر من مليون شهيد ومُغيّب، كان بعضهم طفلا رضيعا حين فقد أباه، وهو اليوم عاطل عن العمل ومحروم من الحقوق الإنسانية، يواجه موجات البرد في مخيمات النزوح مع أهله، هؤلاء لن تمرر عليهم بعد اليوم لعبة سُرّاق الوطن. الجيل الجديد من أبناء العرب السنة سيفاجئ أصحاب الكراسي المذهبة، ويزيحهم عن الطريق، ولن تنفع أموالهم المسروقة من جياع الناس، أو القادمة من الدوحة، رغم المستقبل الغامض لهذا التمويل بعد مناخ المصالحات الخليجية مع تل أبيب، أو تراجع الدعم التركي المبتلئ حاليا بتورطاته الخارجية جيل النزوح والاضطهاد والحرمان، في الأنبار والموصل وصلاح الدين وديالي وكركوك، لا يعرف لغة الكذب والمراوغة، وسيقول كلمته الأخيرة في الانتخابات المقبلة، حينها ستنتهى رحلة ضياع سنة السلطة على هوامش التاريخ المُذلة.

القوى الطائفية في العراق تغير جلدها



اتفقت ساحات التظاهر العراقية جميعها، مؤخرا، علىٰ الخروج بمطلبين أساسين في ساحة التحرير وباقى المحافظات المُنتفضة وهما: ` إسقاطً النظام الحالي، ومحاكمة قتلة

وعدّت هذه الساحات كل من يشتت مطالب المتظاهرين تابعا لأحزاب السلطة وهو، تاليا، لا يمثلها.

الأحزاب الطائفية التشيث بالسلطة، وإيجاد أغطية جديدة تغطى عيوبها، بعد أن مزق الحراك الشبابي غطاءها الذي تسترت به طوال 17 سنة، وهو ذريعة الدين والطائفة والمرجعيات الدينية. ويحاول أغلب هذه الأحزاب وضع

العصى في عجلة الانتخابات المبكرة، التى أعلن رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي في 30 يوليو الماضي، أنها ستجري في السادس من يونيو المقبل

ذكرت دراسة بحثية نشرها مركز EPC، وتابعتها صحيفة "مدارات الثورة"، الموحهة إلى المتظاهرين العراقيين، في العاشر من الشهر الحالى، المسارات المحتملة للقوى الشبيعية، التي بدأت بترتيب أوراق تحالفاتها استعدادا . للانتخابات المقبلة، مشيرة إلى أن "رئيس تحالف الفتح هادي العامري، يسعى إلى دخول الانتخابات تحت يافطة مدنية"، فيما قدمت تقريرا استشرافيا لخطابات ائتلاف دولة القانون، وباقى القوى الولائية، وتحالف النصر وتيار الحكمة.

والواقع، أن الاحتجاجات الشعيبة، قلبت موازين العملية السياسية، ودفعت غالبية القوى الشيعية إلىٰ تبنى خطاب جديد، كنوع من المراوغة، والتماشي مع الخطاب الجديد للشباب العراقي، وصعود الروح الوطنية.

ولكن في الوقت الذي تعمل فيه القوى الشيعية على إعاقة عقد الانتخابات التشريعية المبكرة في الموعد المحدد، من خلال الإجراءات البرلمانية، فإنها تخطو خطوات موازية للتحضير للانتخابات المقبلة في حال عقدها.

ويبدو أن حركة الاحتجاج في العراق قلبت موازين العملية السياسية والانتخابية تحديدا، إذ أخذت غالبية القوى الشيعية تراوغ في خطاباتها تجاه الجمهور الناقم علىٰ الأوضاع العامة في البلاد، ووصلت المراوغة إلى حدّ تعمية الهوية السياسية للأحزاب من خلال تشكيل كيانات بديلة أو رديفة لكياناتها الأم، من أجل الخروج من المعركة الانتخابية المقبلة بأقل الخسائر، والحفاظ علىٰ ما تبقىٰ من مكتسبات السلطة

المتداعية في العراق. وتعمل قوى التشيع السياسي، الموالي لإيران أو المناوئ لها منذ أشهر على تهيئة أوضاعها السياسية المقبلة بما يتلاءم مع الواقع المستجد، فبدأت تتحسس الخطر في ظل تنامي قاعدة الاحتجاج الشعبي، سواء في ساحات التظاهر أم في مواقع التواصل الاجتماعي، وتقوم اليوم بلملمة صفوفها، والتفكير بكيفية المشاركة في الانتخابات المقبلة وتحت أي مسمى أو هوية

وتسعىٰ منظمة بدر، التي يتزعمها هادي العامري، وذات البنية العقائدية المتزمتة، إلى دخول الانتخابات تحت بافطة مدنية، ويحاول العامري التقرب من قوى مدنية صغيرة (خاسرة في كل انتخابات، مثل الحزب الوطني الديمقراطي والحركة الاشتراكية العربية) للخروج بقائمة انتخابية ذات ملامح وطنية تزيح عن أذهان الناس الطابع العقائدي الولائي الميليشياوي المعروف

أما الفصائل الولائية، التي تضم عصائب وكتائب الإمام على، وكتائب سيد الشهداء، وحركة السند، وحركة الجهاد والبناء والمجلس الأعلى الإسلامي العراقي"، فتعمل علىٰ تأسيس تشكيل انتخابی جدید تحت مسمیٰ "جهادی وطنى" ذي أهداف مناطقية، لكسب مزاج الناخبين العراقيين في المحافظات الجنوبية والفرات الأوسط.

ومنذ الانتخابات الماضية اتحه ائتلاف "دولة القانون" بزعامة نوري المالكي، إلىٰ دعم خط شبابي يمثله صهر المالكيُّ، النَّائب الكربلائي يأسر المالكي، الذي يَّرأس حركة شبابية تحت مسمىً "البشائر"، ويحاول هذا النائب الشاب

إعادة تأهيل نفسه مجددا للانتخابات المقبلة، من خلال تبنى خطاب إعلامي بعارض، ظَاهِرا، خُطأَب "اللا دُولة". قُبما شكّل تيار "الحكمة" بزعامة عمار الحكيم في الحقبة الأخيرة، كتلة نيابية تدعى "عراقيون"، تضم نوابا من كتلة "إرادة" بزعامة حنان الفتلاوي، وكتلة "النهج"، وهي كتلة حزب الفضيلة سابقا، لإسناد الحكومة الانتقالية داخل البرلمان.

ويُعد "الحكمة" التيار الأكثر تقلبا فى كل موسم انتخابى من حيث التجديد السياسي، ويحاول، هذه المرة، إنتاج تيار ظلى لتياره الرسمى، إذ أناط لأحد مسؤول المكتب التنفيذي في تيار الحكمة، قيادة تيار جديد تحت مسمىٰ "وعي"، لكسب الشياب الاحتجاجي والشخصيات ذات التأثير في الإعلام التقليدي والإعلام

الاجتماعي. وكان العرباوي قد أعلن في 24 أبريل الماضي انسحابه من الحكمة لعدم قناعته بالعملّ الحزبي، كما صرح. ويمكن أن يتلاقىٰ تيارا "وعي" و"الحكمة" تحت مظلة انتخابية تجمعهما والقوى المتحالفة معهما في تكتل "عراقيون"، والنزول بصيغة توافقية، يكون الرابح الأكبر هو حزب الحكيم الرسمى بعد أن

الدراسة البحثية لمركز EPC. أما تحالف "النصر" بزعامة حيدر العبادي، فلم ينشيئ، إلى الآن، تيارا ظليا له، لأن استراتيجية هذا التحالف تقوم علىٰ مخاطبة الجمهور المدنى الشيعى في العاصمة بغداد ومدن الفرات الأوسط بالخصوص، ويحاول التحالف الارتكاز علىٰ وجوهه الرئيسة كزعيمه حيدر العبادي، والقيادي النجفي البارز عدنان

مدنية زائفة، هي استمرار للعبة امتدت، نة 2003 إلى الآن، وتطمح إلى أن السابقين، وهو صلاح العرباوي، تستمر مستقبلا. هذه ليست المرة الأولى، التي يغير فيها أشخاص العملية السياسية جلدهم، قبل الدخول في الانتخابات على أمل

خداع الناس ومنحهم الثقة مرة أخرى. وكما قال لى السياسي العراقي عونى القلمجي، لجأ مقتدى الصدر، الموالى لإيران، بعد إدراكه استياء الناس من رجال الدين والعمائم، إلىٰ الحزب الشيوعي العراقي المتلاشي لتلوين عمامته بلون العلمانية، ودخل الانتخابات الماضية تحت قائمة سماها "سائرون"، ووضع برنامجا يتحدث عن بناء الدولة المدنية. وعندما فاز في الانتخابات تحالف ينال أصوات حلفائه الصغار، بحسب

عمليات الفساد بمختلف تلوناتها من أحراب وتبارات وهيئات.. بمختلف مرجعياتها بركوب الموجة. ورغم أن إقرار قانون الانتخابات الحديد بعد إنجازا لحركة الاحتجاج الشعبية، إلا أن القوى السياسية المتضررة من القانون الجديد ستحاول أن تلتف عليه في مرحلة الاتفاق على عدد الدوائر الانتخابية، ومن المتوقع أن تشهد تلك المرحلة صفقات سياسية بين القوى الكردية والقوى الشبيعية الموالية لإيران، تقوم على دعم الأكراد مرشيح كتلة "البناء" لرئاسة الحكومة مقابل رسم دوائر انتخابية لصالح إقليم كردستان سعيدة اليعقوبي في المناطق المتنازع عليها، وفق أستاذ إعلام واتصالات عراقي، متوقعا ألا تؤدي تصدر عن الانتخابات البرلمانية المقبلة إلى تغيير الواقع السياسي في العراق ما لم تتمكن ساحات الثورة الشعبية من تنظيم تيار The Quadrant وطني يتم الترشُّح علىٰ أساسه في كل الدوائر الانتخابية.

خلاصة القول: تواصل ثورة شباب أكتوبر رسالتها وتشق طريقها وسط غابة الميليشيات وأجهزة السلطة، وفي هذا الخضم من القوى المناهضة للحرية والعدالة، يتطلع شباب أكتوبر إلى الغد باستعادة وطنهم وإعادة الاعتبار إليه. وكانت مطالب شباب الحرية هي حل الهياكل الفاسدة، مجلسي الوزراء والبرلمان، وتطهير القضاء، الّذي فقد مصداقيته، بعد أن حوله الحكام المتعاقبون على السلطة منذ سنة 2003



أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977 أسسها أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير المسؤول د. هیثم الزبیدی

رئيس التحرير والمدير العام محمد أحمد الهوني

> مدراء التحرير مختار الدبابي كرم نعمة حذام خريف منى المحروقي

> > مدير النشر على قاسم

المدير الفني

Al-Arab Publishing House المكتب الرئيسي (لندن)

177 - 179 Hammersmith Road London, W6 8BS, UK Tel: (+44) 20 7602 3999 Fax: (+44) 20 7602 8778

> للإعلان **Advertising Department** Tel: +44 20 8742 9262

www.alarab.co.uk editor@alarab.co.uk

ads@alarab.co.uk